عندما يموت اللون الأبيض

قصص

سيد المغربي

الهيئة العامة لقصور الثقافة
إقليم القناة وسيناء الثقافي
فرع ثقافة السويس

مدير عام الفرع
أ / أحمد رضوان زحام

مدير التحرير التنفيذي
أ / صفاء حسين الجنايني

الاخراج الفني
أ / عاطف سالم

التدقيق اللغوي
د / عبد الباسط أعمير عميرة
(دكتور اللغة والأدب العربي بكلية التربية)

المتابعة الإدارية
م / محمد عبد المنعم (مدير المكتب الفني)
أ / اميرة خليل درويش (مدير الخدمات الثقافية)
أ / سناء محمود إبراهيم (رئيس قسم العلاقات العامة)

المراسلات - ثقافة السويس - تليفاكس - ٣٣١١١٠ / ٠٦٢

بورت برس للطباعة - بورسعيد
ت : ٠١٠٥١٠٩٣١٥ - ٢٢٣١٣٨ / ٠٦٦

إهـــــداء

إلي والدي الحبيبين ....
وإلي أشقائي محمد ومني وسماح ....
وإلي أرض الصمود ....
وإليـــــــك ....
أهدي حياتي
بما فيها قصصي وحكاياتي ..

مقدمة

ما دام النيل يجري ... يسبغ خيراته علي كل شئ

وما دامت الأهرامات ما زالت واقفة ثابتة ..تحكي قصة الحضارة بكل شموخ واباء وما دامت شمس السويس ما زالت تشرق علي اعمدة الفكر وعمالقة الأدب فستظل الحركة الأدبية علي أرض الصمود عالية خفاقة تختلط بشعلة مصانعها وتستمد من ارضها وشعبها عبق التاريخ .

وأود أن أسجل ها هنا وعلي أولي صفحات ما انتجت قريحتي المتواضعة جل تقديري احترامي لأساتذتي الاجلاء شيخ شعراء السويس كابتن غزالي وريس البحرية الرائع كامل عيد خير من يقود سفينة الفكر واستاذي الفاضل محمد الراوي عملاق الأدب وبارون الرواية خير ما انجبتهم مصر فنعم الأم ... ونعم الوليد .

وإذا كنا في حضارة الفكر والمفكرين فلياخذ كل ذي حق حقه وليكتمل الثالوث تلميذ ومعلم ومدرسة فألف تحية وتقدير لمدرسة الثقافة قصر الثقافة بالسويس والقائمون عليها ليظل فارداً ذراعيه يستوعب كـــل محبي الثقافة وعاشقيها .

واما عن نتاجي الأدبي هذا والذي بين ايديكم فأنا أعلم تمـــام اليقـــين انني لا امتلك حق الحديث عنه أو التعليق . فقط أود أن أشكر كل من يقع نتاجي هذا بين يديه ويقتطع من وقته وقتـــاً ليطالعـــه راجيـــاً ان تتلطفوا في حكمكم علي مع اعترافي الكامل بأنني لا أمتلـــك ســـوي حفنة من الكلمات ومن فن القصة أدني الأدوات .

والله من وراء القصد ....

عرب المعمل .. في شتاء ٢٠٠١

سيد بحر ابو عاص

تأملات فيلسوف جاهل

الساعة .. تخطت منتصف الليل بدقائق .. أرقبه جيداً .. خلف الشرفة المضاءة وقد استقر فوق مقعده الخشبي البالي ساكناً وكأنه قطعة من الأثاث .. الشي الوحيد الذي يتحرك هو دخان سيجارته الفقيرة التي يشعلها ثم ينساها حتي تنطفئ .. فيشعل آخري .. يعاود اتصاله بالحياة كل أمد .. كان يطالع كتاباً من الحجم الكبير يغوص بأم رأسه فيه عيناه الواهنتان خلف منظاره الطبي السميك تلتقط الحروف بصعوبة بالغة .. تزدحم فوق هامته التجاعيد إذا ما وقف أمام كلمة بعينها .. شاربه الأبيض ورأسه الصليع يتوسلان أن يعفو عنهما .

لعابه قارب علي النضوب من كثرة ما بلل سبابته وهو يقلب الأوراق تباعاً .. يغيب عن الوعي منهمكاً في القراءة ثم يعاود اتصاله بالحياة.. يعود إلي صفحة سابقة .. يهرول بضعاً إلي الأمام .. وقد يقفز إلي الفهرس . ظل وقتاً وهو يتسكع في دهاليز الكتاب دون أن يفهم منه شيئاً ..

فألقي به من النافذة .. وكان ذلك آخر كتاب في مكتبته العتيقة ..

بقايا .. من عصر توت

الشارع كما هو منذ ولدت .. هادئ .. طويل .. رتيب والناس أيضـاً .. المقهي العتيق ما زال يفتح ذراعيه لكل الشباب .. لكـل الفئـات حتي النافورة في منتصف الطريق منذ ولادتي وليس بينهمـا وبـين الماء صلة .. الشرطي ذو الملابـس البيضـاء ـ المتسـخة أغلـب الاحيان ـ يجوب الشارع ذهاباً واياباً في رتابة وملل .

اليوم .. علي غير العادة الشارع الجماد انفجرت بكارته . ذلك الصبي يتأبط جرائده مهرولا في كل اتجاه يذيع نبأ افتتاح المتحف في نهايـة الشارع ويوزع الملصقات هنا وهناك ..
منذ ذلك اليوم والشارع انتابه نوع مـن الهسـتريا ملامـح جديـدة وأشكالاً نراها لأول مرة وأبناء الشارع وسكانه تحولـوا إلـي نقـاد وأدباء وكل يحكي قصة المتحف .

اليوم الافتتاح .. ضجة وصور وكلمات .. واختلط الحابل بالنابـل .. علت حدة الضجيج في الممر الضيق المؤدي إلي الردهـة الواسـعة حيث توجد التماثيل والتحف .. الناس جميعهم فاغري أفواههم .. علا

الضجيج مرة أخري هرولت إلي مصدره ضمن الجموع وداخل الحجرة المستديرة حيث يستقر التمثالان الكبيران .. اختلط الناس بين مؤيد ومعارض كان أحدهما تمثالاً مبهم المعاني غامض الشكل كتب صاحبه علي القاعدة كلمة الاخلاق ..

اما الثاني فلرجل وأمرأة متعانقين كتب علي قاعدته الحب لم يقربه الناس كانوا يختلسون النظر إليه علي إستحياء .. إلا هي وقفت أمامه تماماً وكأن أحداً لم يدخل الحجرة غيرها .. وقفت أتاملها ولم تبال .. وقفت كثيراً ولم تحرك ساكناً غير أن دموعها كانت تتدفق بلا انقطاع .

دقت الساعة معلنة العاشرة وحان وقت الإغلاق وخرجت الجموع وأنا أتفرس وجوههم باحثاً عنها ولم تخرج بحثت عنها حتي الحجرة .. فوجدتها ما زالت واقفة .. لمستها فأحسست بصلابة جسدها ..
وخرجت دامعاً بعد أن عرفت إنها ..ثالث التماثيل ..

عندما .. يأتي الرحيل

انتظرتها .. انتظرتها كثيراً .. عمراً أو بعض عمر .. حتـــي جـــاءت الحافلة تطل علينا من بعيد بوجهها الصدئ القمئ .. وقفت موازيـــة لي قادمة من العصور الغابرة .. متجهة إلي زمان آخر إلـــي زمـــان ميتافيزيقي ..

إستقليتها .. احتللت مقعداً بالياً في منتصف الحافلة .. لا أحداً فيهـــا غيري .. حتي مقعد القيادة يخلو من القائد .. وعجلة القيـــادة تـــدور حول نفسها بحركة آلية .. الحافلة تسير في عدة اتجاهـــات تصـــعد . تهبط .. تنزلق .. تدخل عدة أنفاق مظلمة متتالية .. الكل من حولنـــا هاجع .. حتي الكائنات الدقيقة التي تسكن الهواء كلها هجعت .

توقفت الحافلة دون سابق إنذار .. أصدرت إطاراتها صريراً مخيفاً .. أرتطمت بالمقعد المقابل فطارت علي أثرها ذاكرتي الزجاجية الهشـــة .. تحطمت اسفل الإطارات .. ترجلت عن الحافلة أبحث عن نفسي ..

أبحث عن الحياة .. لا يوجد شئ من حولي .. ولا حتي مـا يسـمي بالأفق .. لا قمر ولا نهار ليس هناك من كائن حي ولا جمـاد غيـر الأرض التي أقف عليها .. أهرول يمنة ويساراً ..

أعود حيث انطلقت دونما جديد لا أفهم شيئاً .. من؟ ولمن؟ وإلي أين؟ كلها أسئلة تحمل إجابات خاوية .. وبعد .. لا يوجد قبل .. أشعر إنني أتلاشي .. أفقد شيئاً ما .. لا أعرف كنهه .. فقط أريد العودة .

لعلني عدت بدليل كتابة هذه السطور .. ولعلني لم أعـد فلربمـا قـد كتبتها قبلا وتركتها بجوار وصيتي وتركة الأقلام الفارغـة والأوراق الرثه

قد يكون .. وقد لا يكون ...

كوبا ... نصفه فارغ

كعادته دائماً ... وحيداً .. منعزلاً .. غاص بأم رأسه داخل أوراق الجريدة .. لم يعبأ بشئ ، علبة الدخان الفقيرة ومشروبه الذي كان ساخناً يستقران فوق المائدة المستديرة أمامه مر من الوقت الكثير .. ولا يزال .. خارج نطاق الخدمة .. خلت المائدة من كل شئ إلا من لفافات التبغ وعلبة الثقاب .

لم يشعر بها .. بعبيرها الذي يخترق الأنوف .. استقرت علي مقربة منه .. وهو لم يكترث وهي لم يثيرها سكونه في البداية ، مر وقت طويل قوامه ساعة أو يزيد . اقتلعته ضحكاتها العالية رغم أنفه .. ولم يلبث أن دس رأسه من جديد .

سألته أن يقرضها علبة الثقاب .. أشعلت سيجارها الداكن ببطء شديد .. تطلع إليها التهمها بنظراته الملتهبة والتي إخترقت جسدها المرمري البض .. فارتسمت في مخيلته وهي تقف بجواره بردائها العرائسي الأبيض وتوالت الصور من أعماقه إلي الشاطئ المتصابي .. تلاقت خيوطه السوداء في نصف الكوب الفارغ زاجاً بها في عالم اسود قمئ .. فانتفض جسده النحيف .. ونظر إليها .. وترك لها المكان وأقل ..
وأقسم ألا يقرأ جريدة بعد اليوم ...

استراحة قصيرة

شاهدتها اليوم وكأني اشاهدها لأول مرة من فرط جمالهـــا .. كنــت مشدوداً وأنا أنظر إليها وهي قابعة خلف البنش الخشبي لــم أســمع منها إلا صوت الورق وهي تقلب في كتابها الأبيض وانا مــا زلــت مشدوداً إليها حتي باغتتني بنظرة ثاقبة لم تتحدث وإنما قالت الكثير.

لم أسمع من المحاضرة شئ .. كنت أفكر فيها .. وعندما انطلقنا من فوهة المدرج لملمت جرأتي وأصررت ان أحدثها وأعترف لها تركــت صديقي الوحيد والذي أشار علي بــالكلام معهــا فــذهبت وناديتهــا فانفرطت من وسط صديقاتها عاجلتها أريد أن أتحدث معك في شــئ خاص فأومأت برأسها معلنة الموافقة ومشينا نحن الأربعة أنا وهــي والإضطراب والخجل ثم تسمرت قدماي وقلتها .. أحبك . قلتهــا فــي بضع دقائق وعلي بضع وعشرين مقطع .. فأومأت برأســها إيجابــاً وأخرجت من كتابها الأبيض وردة حمراء و أعطتها لي وانطلقت فــي موقب الخجل ولم تنظر إليّ إلي أن غابت عن ناظري .

شاهدتها في اليوم التالي فذهبت إليها وتركت هــي قطيعهــا أيضــاً عاجلتها بالشوق واللهفة أماءت مرة ثالثــة وأعطتنــي وردة ثانيــة فعرفت إنها خرساء .. تمسكت بها أكثر وأكثر
أشارت لي بيدها مودعة إياي فرفعت يدي لأبادلها الوداع ....
ارتطمت يدي بالسرير .... فأفقت ....

قبل وبعد

انتظرتها كثيراً .. حتي طالعتني بوجهها الشاحب البالي .. ابتلعتني وسط الجموع . مقاعدها المتهرئة تحمل شذا العصور السحيقة .. أمتطيت أحدها .. جلست بجوارها .. كم كانت حسناء داخل المعطف الداكن .. وتنورتها القصيرة تكشف عن ساقها الناصع البض .. لم تعبأ بي .. أو إنها لم تشعر بوجودي علي الإطلاق .. كانت منهمكة في قراءة ديوان شعري وكنت انا أسترق النظر إليها بين لحظة واخري وهي تلتهم الكلمات بنهم جم .. عدلت موضع منظارها الطبي الرقيق فوق انفها الروماني اكثر من مرة .

سألتني عن معني لأحد الكلمات فأجبتها بإسهاب فقد كان ديواني الأول ولم أكتف بالشرح بل سطرت لها إهداء صاحبه ..

فلما تأكدت .. تركته لي .. وتركت الدنيا .. وفارقت الحياة ..

الحافلة

كعادتي بها .. أنتظرها كل يوم .. نفس المكان .. ونفس التوقيت .. تخترق الأفق .. تطل علينا بوجهها الصدئ القمئ .. وتجاعيدها المزدحمة فوق الجبين .. تأتي من العصور الغابرة .. تمر بنا .. مهرولة إلي الأزمنة المجهولة . أنتظرها كل يوم .. أحاول اللحاق بها إطاراتها العريضة بحاراتها المتعرجة تغتال أحلامي كل يوم .

ما أن تمر بجانبي حتي يلفحني هوائها المندفع المتخلف عن سرعتها المذهلة .. قبعتي البالية فوق رأسي تطير أيضاً .. رغم إنني أضع يدي فوقها .. ما من شئ يستقر إذا مرت .

اليوم/.. سألحق بها .. سأغوص في أمعائها .. ها هي .. تخترق الكادر .. تسبق الريح .. تطالعني بوجهها الكئيب ، ولا بد من إيقافها حتي يتسني لي إمتطائها ، وضعت في طريقها العراقيل .. وها هي تقترب .. تقترب أكثر .. في مواجهتي تماماً .. أصدرت إطاراتها صريراً مخيفاً ولم تقف .. وخلفتني ورائها جثة مبعثرة الأشلاء .. وبالمناسبة .. اليوم لم أرتدِ القبعة ....

صفقة

دائماً ما كان يستهويني الجلوس في المقعد الخلفي .. طيلة عمري التعليمي وأنا أرتكن إلي الجدار ، لم تكتفِ المؤخرة ببضع سنين وإنما لازمتني أينما كنت .. كانت نصيبي من الحياة .. أراني دائماً أقبع في الركن البعيد من العالم أرتكن إلي أحد الزوايا .. جاثياً مهموماً دائماً خلف الصفوف .. دائماً خلف الحياة .. دائماً خارج الكادر .. لم يعدو نصيبي بصيص الضوء المنبثق من الجدار المتهالك .

وقعت عقداً زائفاً مع الحزن ساومته أن يفارقني بضع سويعات على أن أعود مكبلاً في قيودي بعدها وإن لم أفعل فهنيئاً له البصيص .. وقد كان .

وجدتها أجتثتني من الجذور .. سبحت بي في الأعماق اللازوردية .. حملتني فوق أجنحتها البيضاء فانتشيت من السعادة .. محوت ذاكرتي .. تلصصت .. نظرت حولي بضع نظرات حائرة عن اليمين وعن الشمال .. قفزنا حاجز الزمن .. فررنا من ثقب الحياة .. إلي عالم

اللاشعور .. إلي ما بعد يوتوبيا .. خارج بؤرة الأهتمام حيث لا بشـــر ولا قيود .

صنعت من أجنحتها وسادة حريرية .. أبتسمت فاضـــاءت .. أغلقــت ثغرها بغتة .. أرتعشت .. أقتربت منها .. أقتربت أكثر ..

المسافة بيننا لا شئ .. نهديها يفترشان صدري .. جذبت شفتيها في توتر وما زالت ترتعش . تهولم جسدها الممشوق .. كادت أن تلامس الأرض لولا ذراعيّ المنبثقان في خصرها .. رحلت دامعة .

أقتلعتني صوت الضحكات الشيطانية خلف نافذة الثقــب .. طـــالعني الحزن بوجهه القمئ بادرني قائلاً : كما اتفقنـــا . لـــم تعـد فأصـــبح البصيص من حقي ..

- مات البصيص .. ومت .. وأيضـــاً فـــي المـــؤخرة . خلــف الصفوف .. بمنأي عن الكادر ..

علي سفر

توقفت السيارة .. ترجّلت بقيّة الطريق .. البرد يتسكع في الطرقـــات .. أمطار خفيفة تتساقط علـــي إســـتحياء .. ســـاعتني ذات الزجـــاج المهشم تعلن الواحدة بعد منتصف الليل .. ما زلت أطـــوي الطريـــق لأصل إلي منزلنا البعيد .. بقية من اطفال الصباح يمارسون نشاطهم ليلاً .. يسخرون من المطر . أضع يدي في جيوب معطفي المنســـدل علي ركبتي .. رقبتي تتضائل إلي حد بعيد ومؤخرة رأسي تستند إلي ياقة معطفي المرفوعة ، دخان سيجارتي الفقيرة يتصـــاعد ليصـــنع شبورة داكنة أمام منظاري الطبي السميك . ولا زال بيتنا يبتعد .

شئ ما يتبعني .. أقدامه تتحسس الخطي .. وبقايا من حنجرة غـــابرة تعلن عن إنقطاع أحبالها تصدر صوتاً مكتومـــاً .. توقفـــت فجـــأة .. أدرت رأسي بحركة آلية ..أصطدمت بها .. أذكر تلك الملامح ..

عينيها الحزينتين .. شعرها الناعم المبلل .. ردائهـــا الممـــزق عنـــد الأكتاف لا زالت تحمل حرفاً ذهبياً أهديتها أياه يوما ما وتلك السلسلة

الفضية التي تطوق عنقها تمتمت ببضع كلمات مبهمة .. ثم انهمرت دموعها .. أنكفأت فوق صدري .. أفرغت ما تبقي من دموعها فيه .. أعطتني شفتيها بلا قيود .. أنتزعت منها قبلة خجلاً .. أحسست بها تصب داخلي شيئاً ساخناً ولم تبرح شفتاي حتي فارقت الحياة . وضعتها تحت جدار متهالك . أحرقت رفاتها بدموعي .. واحتفظت لنفسي بالفضية والحرف الذهبي . أنطلقت اعاود السفر .. ورقبتي تعاود الدوران إلي الخلف حتي غاب جسدها عن ناظري . الآن تذكرتها . هي .. نعم هي .. أسدلت رأسي علي صدري ومشيت في خط مستقيم .. وأخيراً وصلت .. إلي تلك الشجرة العجوز التي حفرنا عليها أسمينا فيما مضي ..جثوت علي ركبتي ..

وضعت الفضية والحرف الذهبي في حفرة تحتها ومضيت في طريقي إلي البيت .. ولا زال البيت يبتعد ..

سم زعاف

الفجر يتسلل عبر الخيوط البيضـــاء .. الكائنـــات الهاجعـــة فارقـــت المضاجع .. حتي الدقيقة منها . الأرض تئن ، سمكها يتناقص مـــن كثرة الضغوط عليها .. الكسل يتواري رغم الهجير .. الطائر الكسيح أبي إلا أن يستيقظ مبكراً ..

الزمان ما زال يخط تجاعيده فوق تنورتها القصيرة .. شعرها الناعم المتطاير مفعم بالحيوية .. البائع الجائل نضب لعابه وأرتخت احباله الصوتية وهو ينادي علي رزقه في المساء ..

وأنا .. ما زلت نائماً ..

مسعود الفيلسوف

يمتطي جواده الخشبي الملفوف .. يهرول في كل إتجاه .. يظهر دون سابق علم .. يختفي دونما عناء .. شعره الأشعث يسافر في كل إتجاه .. يرتدي اكثر من شئ .. ينتعل قدميه العاريتين من كل شئ حتي النظافة .. يهذي .. يغني .. يخطب .. يبول في الطريق .. يحرس فتاة في الليل .. يتصدر موكباً جنائزياً .. يرقص في قلب فرح . يمارس نشاطه صباحاً إلي أن تغرب الشمس .. وعند الغروب يلقي همومه إلي الشاطئ .. أرقبه دائماً في نفس الموعد من كل يوم .. جاثياً علي ركبتيه .. طارحاً حصانه أرضاً ..ساكناً ساكناً .. ينظر إلي لا شئ .. مياه الشاطئ تداعب ركبتيه الماضي والحاضر والمستقبل يتأرجحون فوق مخيلته فيما يفكر لا أحد يعرف ماذا يريد .. لا أحد يعرف .. ثم يبدأ بفتح صنابيره خلف كواليس العيون .. تلتقي دموعه بمياه البحر يتناثر الرزاز الناتج عن الإلتقاء يبلل وجهه المقفر .

دفعني الفضول أن أسطو علي وحدته .. ألملم ما تبعثر منه .. أعيد إليه هوية غابرة .. سألته ما السر في حياته المتناقضة ؟ تضحك باكياً ، تقيم راحلاً ، تفرح حزيناً ، تجمع بين كل المتضادات ، أجابني

دون تكلف أردت أن أفكر .. أن أحلم .. أن أتمني .. أتعرف ما أحلـــم به ؟ أمنيتي أن أسبح في الماء حتي أصل إلي ذلـــك القـــوص الـــذي تلتقي فيه مياه البحر بصفحة السماء وللأسف ما ان سمع الناس ذلك حتي لقبوني بالمجنون

وأنهي كلماته قائلاً : أنت تفكر .. إذن أنت مجنون ..
وعاد إلي البكاء من جديد ..

صندوق الدنيا

وتشرق الشمس .. وتشرق معها .. تـأتي مهرولـة مـن الأزمنـة السحيقة .. من العصور الراحلة .. تخترق شارعنا مـع بـادرة أول ضوء .. تلقي همومها فوق عصاها العتيقة تخلف ورائها أثار أقدامها الجرثومية .. تطوي الشارع طياً .. وصلت الآن إلي منزلها القـاطن في ذيل القرية بشرفته المتهدلـة والتـي تكـاد أن تقبـل الأرض .. وكالعادة أنا في انتظارها .. تتفرس وجهي للحظات ثم تفتأ أن تنزوي في احدي البقاع .. تمضي .. تتضائل حتي تختفي ، تستعيد نشـاطها ليلاً .. تطالعني ما أن يجافي الطريق الأقدام .

أشرقت الشمس .. أرسلت أشعتها الدافئة إلي كل شـئ .. أنتظـرت كثيراً ولم تأتي .. غصت في معطفي .. أنتعلت حـذائي الممـزق .. بحثت عنها في كل مكان .. حتي في الثقوب .

وجدتها أخيراً وقد رهنت ظهرها إلي أحد الجدران ، ترتكن إليه بعد أن فقدت متكأها وقفت أمامها صامتاً . أيقظها ظلي من ثباتها العميق .. نظرت إليّ بوجهها المتهجم ، رأيت في عينها المتـألقتين شـريط الحياة .. منذ ولدت .. الصور تمر تباعاً .. منها مظلم ومضئ أسـود كدثارها وأبيض كوشاحها .

كل شئ يمر في عينيها حتي هذه اللحظة أراني فيهما واقفاً منتصـباً أتطلع إليها بإعجاب حتي أسدلت الستار .. وأغمضت عينيها ..

وماتت دون عنـــاء ..

لن أموت

أنتصب الشارع أخيراً .. أما البرد فكما هو عليه يقطع الطريق جيئة وذهاباً .. الطريق مظلم إلا من شرفتها المضاءة .. خيالها يتراقص خلف النافذة .. تسترق النظرات .. تنتظر دعوتي وأنا لا أعبأ بأي شئ حولي .. الشارع عاود تعرجه من جديد ، والظلام أيضاً وتلك المرأة العتيقة تستدعي شبابها الغابر علي فترات ما زالت تضرب بجذورها تحت الجدار المتهالك تستوقفني كل ليلة تسألني عن أشياء مبهمة . أعطيتها اليوم نقوداً فأبت علي غير عادتها .. تركتها وأفلت .. أبحث عن منزلنا الذي يرتسم في الأفق وقبل أن تتأكد ملامحه أقتلعني صوت هرولة من بعيد توقفت بمقتضاها وأدرت رأسي .. وكانت هي .. صاحبة الشرفة المضاءة ، توقفت عند قدمي .. يفصل بيننا فراغاً هوائياً رقيقاً ..

تنهدت بصوت عال كما لو كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة.. سألتني عن أشياء وضلت طريق الإجابة .. سألتني كثيراً وضللت أكثر .. تجمعت في مقلتيها دمعة بائسة وانزلقت إلي وجنتيها مخلفة ورائها صداعا عميقاً تفجرت منه دماءاً سوداء .. إنتشرت صدوعاً كثيرة في وجهها

وابيض شعرها الداكن وتمخضت فتاتي عن إمــرأة عجــوز رهنــت ظهرها إلي أحد الجدران وأسدلت جفنيها دون عناء .

شعرت برعشة ما تسري في أوصالي ليس ســببها البــرد هرولــت مسرعاً أستبق الصوت والضوء ومنزلنا بقامته المديدة يــدخل فــي الكادر مرة أخري وخلفي مباشرة أصواتاً تزوم أنتابني خوفاً شديداً لم أستطع معه أن اوقف قدماي وانفاسي تخرج إلي غير رجعة .. حتــي رقبتي ترفض الدوران .

الأصوات تعلو .. تقترب .. تصم أذني .. يحولقــونني .. يرغمــونني أن أقف .. أن أجيب رأيت في يد كل منهم خصلة شعر بيضاء ولكــن ليس تماماً هناك بعض السواد كانو يحملون فــوق أعنــاقهم فتــاتي العجوز أنتزعت خصلة منها وسرت معهم في جماعات مترجلة وأذكر أنني مررت بجوار المنزل ، ولكن لم أعبأ به رغم ملامحه الأكيدة ..

وفي الطريق أنضم إلينا الكثيرون .. وكل يبغي وكل لم يصل ..

ترنيمة عيد الميلاد

كل سنة وأنت طيب .. سمعتها اليوم كثيراً .. تلاقفتها الأفواه. الواحد تلو الآخر .. الكل يسارع إلي التهنئة .. أذني قدت التمييز .. أنتظرتها .. أنتظرتها كثيراً .. لا رأيتها ولا سمعتها القلق يسري في أوصالي .. أهفو إلي صوت الأجراس .. أذني مع جرس الباب .. عيني مع الساعة .. قلبي مع التليفون ..صوت أجراس .. أيهم ؟ لا أدري .. علها تكون صاحبته ..إنها الساعة عقاربها تشير إلي العاشرة ، توقف قلبي لثوان معدودة .. لم تأتي حتي الآن .. الكل ينظر إلي يقارنونني بالشموع ، تلتهب شوقاً وحرقة إلي من يطفئها قبل أن تنطفئ يأساً .

عادت الأجراس تقرع من جديد .. الساعة تشير إلي الحادية عشر .. رتاج الباب يتحرك أذني سجلت .. فأبرقت .. جاءها الرد خلال عيني .. ولكن ليست هي .. تحركت الساعة كثيراً .. وتحرك الرتاج أكثر .. الجميع هرولوا إلي الخارج في رحلة البحث عن عيد .

خلا المكان من كل شئ .. أحترقت الشموع كما إحترقت الأعصاب عدا واحدة أطفئتها بتنهيدة .. أطفئتها بترنيمة .. هابي بيرث دي .. أطفئتها ثم أنطفأت ..

ضمير الغائب

دخان .. دخان .. دخان .. في داخله وفي خارجه .. في كل مكان ينفث الدخان .. في كل وقت يرسل الدخان . أصرت والدته أن يقلع عنه .. لم تكل ولم تمل ، أصدرت تحذيراتها وتوسلاتها مراراً وتكراراً .. فعلت محبوبته نفس الشئ وأكثر .. ساومته علي حبها ، فاضلته بينها وبين الدخان .. كل من حوله يحبه .. كل من حوله يدفعه للإقلاع عنها .. حتي صورته المعلقة علي الجدار الرث المتهرئ في نهاية الحجرة .

يخاف أن يفقد كل من حوله .. كل ما حوله .. أراد أن يرضي جميع الأطراف .. ظل يدخن في الخفاء .. تفوه بأعلي صوته ، كتب علي الجدران .. انه أقلع عن التدخين .. فرحت أمه ، وتهللت أسارير محبوبته .. سعد كل من حوله .. ولكن .. كان يعود للدخان في الخفاء .

وقف يوماً أمام المرآة ..لم يحتمل النظر في عينيه .. سقطا منه أرضاً .. انتابه نوع من القلق والإضطراب يشعر بالخذي من نفسه .. ماذا لو عرف من حوله ؟ ماذا سيكون شعورهم تجاهه ؟ كيف سينظرون إليه ؟ أمه .. محبوبته .. كان ذلك يؤلمه دائماً .. أراد الحفاظ علي بقيته لذلك .. أقلع عن دخان كل شئ كاد أن يبعده عن الآخرين ..

فانتازيا الأيام المودرن

غاصت قدميه الجرثوميتين داخل الحذاء الرث بعد فراغه من ارتـداء ملابسه الداكنة المزدحمة بأشياء كثيرة .. إشارات ضبط الوقت تعلن السادسة .. وأري شعره المموج بقبعته الهزيلة واندفع مـن فوهـة المنزل مستنداً علي دراجته البالية .. انزلق إلي الشبورة التي أخفت معالم الطريق الا من قطرات الندي التي بللت سرواله الداكن فامتطي دراجته وسار ..لم يسعفه منظاره الطبي السميك في تحديـد ملامـح الطريق فارتكن إلي أذنيه يصيخ السمع علها تفي بالغرض .

بادره أحدهم قائلاً : صبّح لالا أخذ وقتاً وهو يفكر في معناها وأخيـراً عاود إتصاله بالحياة ألقي شبه الدراجة إلـي المقهـي فـي انتظـار السيارة القادمة .. أنزوي فوق أحد المقاعد توقفت السيارة ركب آخر محيّياً قائدها .. صبح لالا .. أخذ وقتاً وهو يفكر في معناها وأخيـراً عاود اتصاله بالحياة .. توقفت السيارة وأصدرت اطاراتهـا صـريراً خفيفاً .. أندفع الركاب خارجها حيث يستقر المصنع فبادرهم البائع الجائل وهو يعلن عن بضاعته . صبّح لالا .. فأخذ وقتاً وهـو يفكر في معناها وأخيراً لم يستطع دخول المصنع حيث الساعة تشـير إلي التاسعة ..

وبعد أيام مات الرجل ... دون ان يفهم معناهـا ..

همس الكؤوس

أنفاسه المتلاحقة تخرج إلي غير رجعة .. تتهاوي مع صوت قطرات المياه المتساقطة من الصنبور شبه المغلق .. الأفكار تتـدفق داخـل رأسه الخرب تزدحم مع كرات الثلج في كؤوس خمـره المترعـة .. جسده العلوي العاري مسجياً فوق الاريكة يخط عليه الدهر سـنواته العجاف ، الصدأ يعلو أشياءاً كثيرة من حوله .. ما زال يحتفظ ببقايـا من ذاكرته الغابرة في جيوب معطفه البـالي .. علاقتـه اللاوطيـدة بالحياة أكثر ما يميزه .. منظاره الأغبش - دائمـاً- يصـوبه إلـي السياج الفضي الذي كان يحاصر اصبعها يوماً ما .. الآن .. يسـتقر بجانب قارورة الخمر .

الماضي يختبئ تحت اعقاب السجائر .. والمستقبل يطير مع دخانـه الكثيف .. الشموع في زاوية الحجرة خلف الأريكـة تتضـائل شـيئاً فشيئاً .. السائل الشمعي الساخن يتجمد في مآقيها لا صـوت يعلـو فوق بندول الساعة .. عينيه ذات اللون الأحمر الداكن تتواري خلـف ستائر الأهداب .. يستجمع قوة متهالكة قد يرفع جفنيه إلي أعلي .. بعد أن توقف البندول ..

التابوت

رحلت .. فافترقنا رغماً عنّا .. لم يبق منها سوي الـذكري التـي لا تفارقني .. لا بد من حل كل شئ في الغرفة يذكرني بها .. سـأتخلص منها .. نعم .. هو الخلاص . نقبت فـي منزلنـا الريفـي السـاذج ووجدت ذلك التابوت العتيق ، كان يخص أمي فيما مضي أخذته إلـي الغرفة ووضعت فيه كل متعلقاتها كل رفاتها .. بداية بذلك البورتريـه المرسوم لها .. أقلام الشفاه .. قميصها المعلق بجوار شداد الصـدر علي جدارنا البالي .. أوراقها .. مذكراتها .. وأيضاً بضع قبلات كنت أدخرهم لها في يوم أصابني المرض .. وذلك السياج الفضـي حـول أصبعي آخر آخر ما لها .

أغلقت التابوت و وضعته في آخر ثقب في الحائط وهو رمزياً أثريـاً كان موضع المسمار متهتك يضع عليه جدي جلبابـه ومـات جـدي ومات المسمار وترك لنا الثقب في وصية الميراث .. وضعت التابوت وأهلت عليه الذكريات حتي غاب عن الوعي .. هكذا انتهت .. هكـذا تصورت ! قبل أن أسمع هذه الأصوات المبهمة المزعجة .

تمخضت الأصوات عن أناس تدثروا بالسواد ، حتي أسنانهم وأكفهـــم .. مدلاة رؤوسهم علي الصدور . يسيرون نحوي بخطـــي ثابتـــة .. أنزلقت منهم مجموعتين .. ركعت في جو من الطقـــوس الجنائزيـــة الغريبة .. عادت الأصوات المزعجة من جديد وكأنها في انتظار زائراً رسمياً إلي الوجود ..

وقد جاء .. جاء التابوت ، عاد إليّ سالماً كما أفل .. اذن هناك شيئاً ما ما زال موجوداً بحوزتي لكنه يخصها ولم تسترده بعد .. بحثت في الغرفة ثانياً فلم أجد فيها إلا الهواء .. و .. أنا .

لملمتني من الشتات ووضعتني في التابوت وأرسلته لها عبر الزمـــان .. خارج حدود الحياة .. حيث لا ذكري .. أرسلته إلي عالم ســـرمدي ليس فيه الآنا .. الآن فقط نسيتها ..

ونسيت أني نسيتها .. فتذكــــــرتها ..

عندما يموت اللون الأبيض

قطع سعاله المتواصل سكون الليل بعد أن عاوده المرض أول امس .. زوجته ذات الثلاثون خريفاً تقطع المنزل جيئة وذهابا تبحث عن الأعشاب التي أعطتها أمها إياها منذ مرض هو في المرة الأولى .. المنزل خال من الأطفال رغم الأشياء الكثيرة المبعثرة وجهه الشاحب البالي يطل من غطائه الكثيف .. يتصبب عرقاً .. يغيب عن الوعي ثم يعود في كل مرة يري ألواناً سوداء يفيق منها علي لون زوجته الأبيض .

يري أحداهن كلما غاب .. جميعهن تركنه .. يده الموغلة في السواد تعود خاوية دائماً عاود سعاله مرة أخري عينيه المغمضتين أثناء سعاله تفتحت علي لون زوجته الأبيض شاهده أمامه وقد انزوت فوق أحد المقاعد .. تتثائب علي استحياء .. تسكن أول النوم لم يكترث .. نظرإلي سقف الحجرة .. تذكر يوم رآها أول مرة بردائها المدرسي الداكن .. تذكر يوم خطبتها يوم وقع السوار الذهبي من يده لأنها ترتعش .. يوم زفافهما كم كان يوماً تاريخياً ليمارس حقه الشرعي .

طوال عشر سنوات لم يسمع منها كلمة حب لكنه رآه داخـــل عينيهـــا السوداوين .. رآه في إحمرار وجهها الطفولي إذا لمس يدها .. فـــي لهفتها في نبرة صوتها الهامس .

تذكر مغامراته السابقة.. كم كان عربيداً .. كـــم خانهـــا .. يومـــاً أو بعض يوم .. يوماً عاد إلي المنزل مخمور يحمل شذا نسائياً وقميصه المتهدل يحمل آثار شفاه وضيعة ولم تسله لكنه فـــي عينهـــا حتـــي اليـــوم .

فعل كل شئ ليتحاشي تلك الدموع التي أنزلقت من عينيه وكأنها قدت من صخر .. غلبه النوم دون أن يشعر فغاب عن الوعي .. أوغل في السواد ولم يلبث أن استدعاه سعاله إلي الحياة مرة أخري ..

فتفتحت عينيه علي لون زوجته الأبيض ..

سكاري

الساعة حول معصمه النحيف تصدر أزيز خفيفاً تعلن الثامنة تماماً وهو يقف فوق الرصيف المكتظ .. وأقبل ذلك بهامته الكالحه يظهر في الأفق .. يقرع ناقوسه مؤذناً بخطر قادم يتوافق ذلك مع الصرير المخيف الناتج عن اصطكاك اطاراته الحديدية بالقضبان .. يلتهم بينهما كل حياة .. توقفت الرحلة وقتاً ابتلعت عرباته المستطيلة جموعاً غفيرة وهو مميزاً بينهم بفوديه الأبيضين .

عاود القطار رحلته يطوي خلالها الزمن طياً .. يمر بأشياء كثيرة .. الطريق متعرج بعض الوقت لكنك تشعر أنه يركض بك في خط مستقيم .

داخل العربة انزوي هو فوق مقعد بال .. أختلط نحيب طفل مع نمنمات متجاورة .. الصبية في المؤخرة يضحكون علي نائم يهزي .. وبين الفنية والأخري يخترق الحياة صوت جهوري لبائع جائل يحمل صندوقه الخشبي العتيق يوزع همومه علي الركاب لم يبتع منه احد .. كل مكتف بما لديه .. القطار يمضي مسرعاً .. والناس أيضاً لم يكترثوا ..

ولم يعبأ أحد بالنزول فما زالت الرحلة طويلة ..

عيـــــــد

دقت الساعة معلنة بـدء الطقـوس ، فتطـوقس النـاس .. تعالـت التكبيرات .. أصوات الفرح تعب البيوت ورائحـة الملائكـة تعطـر الأجواء .. أنشغل الجميع في المراسم .. خلا شارعنا المتعـرج مـن المارة إلا من ذلك البائس الذي تواري خلفه ظله .. يتحسس الخطـي .. يمشي الهوينا .. تعلثمت قدماه .. يمضي مسرعاً .. يسابق الوقت .. الآن بلغ مأربـه .. وصـل المسـجد ، إنـدس وسـط الجمـوع المتزاحمـــة .

كل ما يشغل باله طريق العودة .. سيرون جلبابه الممـزق .. نعليـه الجرثوميين .. عيده الذي لم يحن .. كان اسمع عيد ، ولم يكـن لـه من إسمه نصيب ، الأمر الذي زاده بؤساً .. أغترب .. غـاص فـي نصف الكوب الفارغ .. رهن نفسه في المنزل طيلة أيام العيد .. رأي الاطفال يلعبون أنكفأ .. غاب عن الوعي .

نسج من الحزن ثوب العيد .. جال في سوقه .. تأرجحت به الأقـدار .. ركب عربات الزمن الغريب .. أشتري الطلقات الفضية .. صـوب بندقيته نحو الأمل .. أراد ان يعبر عن فرحته أكثر .. وأكثر .. رسـم فوق الجدار البالي عيوناً حزينة وعلق تحتها شريطاً من البالونات في مشهد دامع كئيب ..

ورحل العيد .. وعاد عيد .. بعد رحلة سوق العيد ..

فمتـــوثانيـــــــة

توقفت عجلة الحياة في ذلك الركن البعيد من الأرض والذي تحتضنه جبال شاهقة وغير .. وصفير الرياح يعب أضـلع البيـوت الواقفـة المتلاصقة كالأشباح .. كل شئ هاجع .. كل شئ ساكن .. كـل شـئ ساكت .. إلا ذلك البندول الذي خرج عن النص معلنـا تمـرده علـي المخرج فأغري الاقارب العقارب ، فراح عقرب الثواني فوق معصمه النحيف في الساعة ذات الزجاج الردئ يقفز كلاعب الأكروبات لا أحد يقف أمامه .. أراه يخرج لسانه لي في كل قفزة .. أشـتطت غيظـا ..ذلك يعترض ويتحرك .. يحرك كل السواكن ، وأنا صاحب السواكن .. جماد حي .. رغم أن دمائي تجري .. وقلبي ينبض .. وأسـتطيع أن أحرك رأسي .. وأرفع يدي .. كل شئ بـداخلي زخـارجي يمـت بصلة رحم إلي الحركة .

أخذت القرار .. تحركت .. أخرجت علبة الدخان .. أحتضنت السيجارة بين أصابعي .. ألتهمت بعضها لم أشعر بالحرية إلا من خلال ذلك الدخان الذي أنفثه .. يتحرك في كل مكان رسم فوق الستائر وجهها الطفولي .. أطلقت صاروخاً آخر رسم وجهي بجوارها .. أطلقت بعضاً ، صارت موكباً .. وفي الجزء الأخير من الثانية .. أنطلق ذلك الريح المعتدي .. عبر حدودي ..

متواطئاً مع ذلك الفالج الكامن في النافذة الزجاجية ..

فطار الدخان .. وطارت روحينا ..

وانتهت الثانية .. وانتهينا ..

وعدت إلي السكون .. الحي الجماد ..

إعتـــــــذار

أرقبها جيداً .. وهي ترجع إلي الوراء بخطوات مذعورة ثم تهوي في جب عميق إنه ليس جب ولكنه جرح غائر تركته لي كذكري لكـــي لا انساها .. أعتادت أن تضع ختماً لها علي كل من يتعامل معها .. إنها ماركة مسجلة .. ما زالت تهوي .. وتهوي . تصدر أصواتاً مزعجـــة .. وصلت الآن إلي القاع .. تتشـــبث بالشـــعيرات الدمويـــة لتعـــاود الوقوف من جديد وأن تطأ قدميها فوق أحداهن حتي تجف .. صعدت علي كل الشرايين .. تسلقت الاوردة وكلهـــا تجـــف .. خرجـــت الآن أصبحت في العراء .. ولكنها تبكي وضعت ذلك الكوب الذي أهدتنيـــه يوماً تحت جفونها ملأت نصفه من دموعهـــا قـــد وشـــربت .. كـــان لدموعها هذه المرة طعم خاص ونكهة جديدة .. للمرة الاولي أعـــرف ان دموعها قد تغيرت ، تجرعت قبلاً الكثير من الجالونات وكلها كانت مزيفة .. كانت خادعة .

الأن دلف إلي الكادر شخص جديد لم أره من قبل لعله أحد الضحايا.. ربما .. وجهه غاضب ، صوت غليان الدم في عروقه يصم الآذان .. مسكين لم يعرفها جيداً .. أحبها .. بادرني في حنق بلهجة غاضـــبة سائلة :

_ أخذتها ؟ أخذتها عنوة ؟؟

_ عمن تتكلم ؟

_ عنها
_ عن من ؟
_ تلك الواقفة خلفك

أدرت رأسي لأراها لم أجد شيئاً فرددت لاكلمه وجدته أفل .. ما هذا ؟ ومن هذا ؟ .. عامة لم أخسر شيئاً . أسمع قرع طبول من بعيد وصوت أفراح وصدي الأصوات يشبه نحيب البومة وأري ذلك الموكب من بعيد يتوشح باللون الاسود إلا من شخص واحد أكتسي الشيب فوديه ، تسكت الطبول .. يقف الموكب .. ولكن ما زال نحيب البومة مستمراً

وكذلك العروسين . هو ذلك الشخص الذي أفل عاد الآن عارياً تماماً وهي ما زالت ترتدي تلك الملابس الرثة البالية .

وصل موكبهما الثنائي بجواري .. أعطيتهم ظهري .. أعطوني ظهورهم .. و مشينا في خط مستقيم كل إلي وجهته .. أفلت هي مع مأفونها .. وأفلت أنا مع الذكري .

بالمناسبة الشرايين التي ماتت عادت تنبض من جديد .. تساقطت منها الدماء .. وكلما سقطت منها قطرة نبت موضعها غصن ..
لكنه .. غصن يابس تذروه الرياح ..

سبـــــــوع

أسمع كلام أمك " .. قالتها جدتي العجوز التي عفا عليهـا الـدهر .. نسيها .. لا اختلست من الزمن يوماً ثم يوم .. ولدت قبل توت وقـد تستمر معنا حتي يينّع التوت . نظرت إلي عينيها ، بعـد أن تخطيـت الحواجز .. وصلت إليها بأعجوبـة .. أصـوات الفرحـة تزاحمنـا وأنفاسي المتلاحقة تخرج إلي غير رجعة وهي أمامي تدثرت بـاللون الأبيض .. والناس حولنا هائمون .. شباب يتراقصـون.. يسـتقبلون الرجولة علي إستحياء .. وفتيات قد أينعن يعلنّ عن أنوثة ناضـجة ، باتت تحن إلي القطاف .. الكل حولنا سعيد .. وأنـا وهـي توسـطنا العقـد .

جالت بعيونها بين الآخرين تستجدي الخجـل .. خافـت أن تلوكتـا الالسن بسوء فثقبت الأرض بمنظارها اللؤلؤي .. أنتظرت زمناً طويلاً حتي تعود كما كانت .. تسطع كما أفلت ، نظرت إليها ثانيـاً وجـدت بين ذراعيها وردة حمراء ، تلك التي ألقيت بذورها من أمد .. رويتها من مائي ، وهي أيضا كانت تربة صالحة .. أحتضنت الزهـرة حتـي أشرقت .. ثم أهدتنيها .

سمعت أصواتاً تتهافت .. طبولاً تقرع .. موسـيقي تعـزف .. الكـل مسروراً بالزهرة .. أغراني ان أنظر إليها ثالثاً فوجدتها تتأبط زهـرة أخري .. ليست تخصني .. غبت عن الوعي .. رجعت بعـد وقـت .. وجدت الأبطال قد أسدلوا الستار ..

وأنا وحدي أحمل فانوس السبوع ..

إمـــــــراة عـــــــارية

أصابني الملل من كثرة الملل "قالها صديقي ..لم أكـن أتوقـع أنهـا سترتد علي عاقبي ، لم أتوقع أبداً أن الجبل سيتمخض ويلد فـأراً .. تصيبه الحياة بطريقة موسمية .. مللت أصدقائي ، مللت كل شئ من حولي .. سئمت الناس .. و .. ورأيتها .. ومضت في الظلام كالبرق .. إجتاحني موسم الحياة أشرق نبضي من جديد .. بحثت عنها حتـي وجدتها .. أو ظنني أني وجدتها .. تعلقت بها منذ رأيتها .. تلاشـيت فيها .. وما زال لديها المزيد .. تعلقت بجدارها المتهالك .. سـقطت في الوحل القابع تحت الجدار .. ساقني إلي نفق لزج .. في مكان ما من العالم . أدمنت السفر إلي المجهول .. تركت لها القيادة .. مزقت بطاقة الهوية .. كل يوم أسافر فيها .. أصابها الملل مني .. سـئمت رتابتي .. كل يوم لا تجد غيري .. ومض شخص جديـد .. انسـاقت إليه . سلمته عجلة القياة أغرته أن يقودها إلي رأس الخطيئة .

وأنا .. من انا؟ رسماً بدون هوية .. شكلاً تجريدياً مبهماً .. صـوت أقدام يجتذب سمعي ..تموسمت .. رأيت شخصاً يشبهني إلي حد بعيد .. أنحني ظهره مثل أحدب نوتردام ..

يسحب أرجله المتخاذلة في هوان .. وروحه تتسلق فـوق عصـاه المتعرجة .. تدثر بالسواد ..الآن ..وقف أمـامي .. أنتصـب ، أزاح عن وجهه الستار .. ضحك بصوت عال ثم أسدل السـتار ومـا زال يضحك حتي تلاشي .. أصبحت مجهولاً في عالم مجهول ..

أو كذلك الاعمي الذي يبحث عن قطة سوداء في حجرة مظلمة ..

فعل مضارع

وددت لو يعود بي الزمن عشرين خريفاً مثل ذلك الطفل الذي يعبث بالنهود .. يبدل الحلمات الواحدة تلو الأخري .. وما زال أمامه عام كامل وما زالت شفتاه تطمعان في المزيد .

تنسحب روحي الطاهرة .. أسلو طريق العودة .. تنمحي آثار الخطي .. أستعيد ذاكرة الخطايا ، أدوس كل المواخير .. أغرز مخالبي في الأذرع المترنحة .. أطوف بشفتي كل التلال البارزة .. أنجذب إلي ذلك الرداء الأسود القصير .. دائماً ما كنت أبدأ مطالعتي بالشفاه .. أقامر علي طريقتي .. أتمرد علي الرتابة .. وضعتها فوق أرجوحة ، تدور مثل بلية الروليت .. تقف .. وهي ايضاً .. تسقط .. تهوي في داخلي .. أبدأ بشفاه جديدة لم أعتد البدء بها .

أصحوا علي أجراس الكهولة .. ألملم ما بقي مني .. أبحث عن نفسي في ذلك الكهف الاسود .. أستيقظ علي ذلك التابلوه الخشبي الذي يحمل صورة الميزان .. أنقب .. أفتش عنها اقسم عمري علي إثنين .. صفر اليدين .. أجمع شتاتي .. صفر اليدين..أطرح الماضي من الحاضر .. صفر اليدين .. أضرب عرض الحائط ..
ينشق .. تسيل منه دماءاً سوداء ..
ألفظ أنفاسي الاخيرة .. وأموت .. صفر اليدين ..

المــــوت ... يسكن في الجـــــــوار

أستقر جسدها المسجي فوق صــحن الأريكــة .. تعبــث بحاجياتهــا الخاصة .. كان يساومها بنظراته التي مرقــت فــي خلايــا جســدها المرمري البض .. تختلق منه أعداداً متتالية من لياليهما الساخنة .. كؤوس الخمر المترعة أبت إلا ان تعود فارغة .. كان يفكر دائماً أنها ملك يمينه حالما يطارحها الفراش .. أما هي فكانت دائمة العبث مــع الجميع .. ضحكاتها الساخرة تعطيه احساساً برجولته وهــو تواقــاً للمزيد .. أقتطع من الزمن وقتاً تسـيّد فيــه الكــون .. هيــأت لــه المضاجع .. غاص بأم رأسه .. الموت عبث .. لــيس هنــاك شــيئاً إسمه الموت .. وقد يكون .. لكنه للرعية .

الرجل الابيض الدميم ، يقفز من نومه مفزوعاً .. حالما يطارح رأسه العفن ذلك الحلم كل ليلة .. النحيف الملتح يقبض بيمناه سوطاً طويلاً قادماً من العصور الغابرة .. الجروح المنتشرة فــي صــفحة ظهــره يسيل منها لوناً أسود .. يطل منها بكاءطفل يختلط بدموع امــرأة أو نحيب شمطاء عجوز .

الدميم الأبيض يتحاشي نظرة عينيه ، فيهما أشــياءاً كثيــرة وأيامــاً تهرول جميعها اصطبغت وتلونت بالحمرة .

الموت يغلف طرف السوط .. يقترب .. يساوم .. لا تنزعج .. الموت للرعية فقط .. القصر ملئ بالأشباح .. البرج العالي يـأبي أن يصـل إليه الموت .. الدميم اعتلي قمته .. يخشي النوم .. المـوت سـيأتي عند النوم .. عشرة أيام والرجل الابيض مستيقظ .. تورما جفنيه ..

تغلبه غفوة .. السوط يحاصر أعلي البرج .

داخل رأسه العفن مرت كل الأحداث .. تاريخ العالم باكمله .. فتـذكر كل شئ ..

ونسي .. أن الموت يسكن في الجوار ..

الأضـــــــــواء تنطفئ

العرض بدأ .. الساحر يدخل يده .. الساحر يخرج بيضة .. البيضـــة تصبح أشياءاً ، وأبي .. في صمت يتعجب .. !

العرض بدأ .. الشاشة تعرض قصة فيلم .. بضغطة . الشاشة تصبح ندوة علم .. في لحظة الشاشة أخبار وغناء ..

وأبي ..في صمت يتعجب ..!

العرض بدأ .. وجه المرآة يداعب لهو طفل .. الوجه الآخــر يعكــس صورته وهو يهندم شاربه الكث ... في لحظة .. وجه المرآة يعـــانق لون الشيب ..

وأبي ..في صمت يتعجب ..!

أشياء كثيرة تغيرت جميعها في لحظة .. وأبي يتركنا دائماً .. يستقر عند قبر أبيه .. الرزاز المندفع من فكه الخالي يبلل سطح الارض .. يحسبها تنبت .. أشياءاً أخري قد بادت .. كثير من الماضي في سلة المهملات .. والناس لا تبالي ..

وأبي ..في صمت يتعجب ..!

أمس .. منزلنا كان يعج بالناس يهنئون أبي قادماً من مكة .. اليوم .. منزلنا يعج بالناس وأمي تدثرت بالسواد ..

وأبي ..في صمت يرقد ..!

الصبـــــار .. يموت عطشـــا

ترك سيارته علي بعد أمتار ليست بالقليلة ، وترجل بقية الطريـــق .. أرتكن إلي أحد المقاعد في المكان الخالي .. ملابسه الباهظة الـــثمن والدبوس الذهبي في رابطة العنق لا يتفقان مع كونه يدخن النرجيلـــة .. نظراته خلف منظاره الطبي الأنيق تجوب كل الاماكن تتفرس فـــي الوجوه الشاحبة .. مضطرب .. كعادتي به دائماً .

الناس جميعهم فاقدي الوعي .. ألقوا همومهم فـــوق ســـن النـــرد .. يطير ليرتطم بالإطار الخشبي علها تنتقص .. أو تبتعد لفترة .. وفـــي أغلب الأحيان يفارق النرد الإطار من كثرة ما أثقله كاهلـــه .. وفـــي الجوار أزيز يصم الآذان حيث تصطك قطع الدومينو ببعضها الـــبعض .. يطيح صاحبها بالواحدة تلو الأخري بطريقة فظة لا شعورية ..

والبعض يلقي همومه فوق الجذوات المشتعلة يزيدها اشتعالاً ..
الجميع صرعي .

الصبي الصغير بجلبابه الرث الممزق يفترش المناضد بمناديله
الورقية .. شفتيه العاريتين تستجدي مساعدة .. ولا أحد يكترث ..
توقفت الحياة للحظة .. الطفل الواهن سقط صريعاً تحت صرير
الإطارات المندفعة .. دماته الذكية يفوح منها رائحة الجوع ..
الأرض العطشي هل تنبت ؟

لم أسمع يوماً أن الصبار روي عطشاً ..!

خطــــــــــوط متوازية

دقت إشارات ضبط الوقت معلنة التاسعة والنصف صــباحاً ، إنتهــي بمقتضاها الحوار داخل القاعة العتيقة .. إنطلق الطــلاب يتزاحمــون كالقطيع من فوهتها الضيقة .. أنزوت هي فــي دهــاليز الجامعــة ، جمالها الصارخ يلتهم كل العيون وابتسامتها الدافئة تعطــي الجميــع حق الإعجاب بها .. وهما من جملة العشاق .

أحدهما هو ذلك الشاب الأنيق .. ملابسه تدل علــي ثرائــه وأيضــا الإطار الأصفر اللامع حول منظاره الطبي ينم عن معدنه .. يري كــل شئ من خلاله .. والآخر بلونه الأسمر وقوامه الممشــوق وشــاربه الخفيف يعطونه وسامة من نوع خاص .. أراه بنفس الملابــس مــا يقرب من الشهر أو يزيد كان محبوباً رغم فقره ..جــذاب .. قيــادي الادوار .

تعلق كل منهما بها وأخطأت هي عندما ظنت أنه من الممكن أن تجمع بينهما .. كل منهما كان ينظر إلي ما في جعبة الآخر .. كـــل منهمـــا يغلفه إحساساً بالنقص .. وهي .. تريدهما معاً وهيهـــات أن يجتمـــع الثلاثـــــــة ..!

سنوات قديمة

كان يداعب الهواء بكلتا يديه .. يستقبل الدنيا بإبتسامته البريئــة .. يمضغ ابهام قدمه اليمني يبول في مكانه . يبول فوق البشر جميعاً .. دون عناء .. ينسكب فوق جفنيه نوم عميق .

يستيقظ وتحت أنفه الروماني خطا أسود .. يجوب الحياة باحثاً عــن ذاته .. يمارس أشياءاً في الخفاء ، يعبث بأوراقها الخاصة .. المرأة التي بجواره كانت رائعة .. الدهر يتــوج هامتــه بكومــة الخطــوط المتعرجة .. واللون الأبيض ينساب إليه بشكل واسع .

سألته عن الصورة الأخيرة .. أطربني الإســتماع إليــه .. الحــروف جميعها سقطت من فكه الخالي ..

فذهبت وتركت جالساً يتــــأمل ..

الســــــوط .. يحترف الغنـــــــاء

(المجد لشيطان معبود الرياح .. من قال .لا. فلن يمــت ..) وقعــت علي مسامعه كوقع الماء فوق جذوة مشتعلة ، أعادت الــروح إلــي أشياء بالية .. توارت منذ أمد .. مخبوئة في الــذاكرة .. الصــدوع الملتئمة في صحن ظهره عادت تئن من جديد .. بقايــا مــن عصــر مضي أبت إلا ان تترك له أثراً .

الألوان المظلمة تطل في الغرفة الموحشة .. أصواتاً تقترب .. رأســه تحت المقصلة .. معصوب العينين .. ردائه الخشن تمزق من كثــرة اصددامه بالسياط .. الذاكرة تعج بالوجوه الكالحة .. الحقيقة تتساقط من شفتيه الواهنتين .. يلملمها .. تتبعثر مــن جديــد .. الصــعاليك يعلمون بالامر .. الصعاليك يغتصبون رجولته .

الذاكرة تعيد بحثها من جديد .. دموعه تتأرجح في مآقيها .. خوفاً .. قد يكون ..! لكنه لم يسلو قط نظرة الجلاد وهو يندفع إليه فاغراً فاه بابتسامته الوضيعة .. يسيل لوناً أحمر يعقبه سائل شفافاً .. ألمـــاً .. قد يكون ..!

أنسابت ذاكرته فوق الصفحات الملتهبة تزيـــدها اشـــتعالاً .. يصـــيخ السمع .. الطفل القابع خلف النار يستجدي مساعدة .. يتقدم خطـــوة ..يعود بضعاً .. قدميه الواهنتين .. فقدا وظيفتيهما الصـــعاليك فـــي المكان .. والجلاد أيضاً .

يهرول مبتعداً .. تاركاً قدماه.. تاركاً الحياة .. حيث لا بشر .. حيـــث لا ذاكرة .. يصيخ السمع الطفل القـــابع خلـــف الكـــون .. يســـتجدي مساعدة .. و .. هيهـــــــــــــــــــات ..!

ذات قيمـــــة

يحمل علي عاتقه جوالاً ممزقاً بعض الشئ .. يدس فيـه أشـياءاً لا أعرف كنهها .. يتكأ علي عصا عجوز .. كنت أظنه عابر سـبيل أو معتوه .. يقولون عنه يعلم أشياءاً كثيرة وكان يعمل فيمـا مضـي .. كان يبحث عنها .

أرتاد أماكن مختلفة واستقر فوق أراض عديدة ..أكل الـدهر عليـه وشرب .. رأسه الأشيب وكومة التجاعيد فوق هامته وعمراً غـابراً تحت عينيه جميعهم علي هامش البحث .. الرجل المتصابي يسـتجمع من ذاكرته الصدأة سنواته الخضراء .. أظنها الســابت مـن مسـام جواله الممزق .. رهن ظهره إلي احد الجدران بعد أن فقد متكـأه .. مد أطرافه فوق العشب اليابس .. أفترش الارض بأشـيائه ، باعهـا بقليل وابتاع بها قلماً و وريقات وظل يكتب ويكتب .. يوماً أو بعـض يوم .. علّه يجدها .. وبعد ..

مات الرجل وتطايرت أوراقه .. ولم يبقي منه غيـر جوالـه الممزق ..!

يـــــوما أو بعض يـــــوم

دلف إلي الحياة خارج سيارته الفارهة .. ترجل بقية الطريق .. البرد يتسكع في الطرقات دس اطرافه داخل جيوب معطفه الأنيق .. توقـــف أمام كومة الأطلال المتراصة كالأشباح .. وقـــف صـــامتاً ســـاكتاً .. وجهه الخشبي الصارم تنتشر فيه صدوعاً كثيرة .

ذاكرته حملت من هذا المكان كثيراً .. و توالدت كثيـــراً .. جمـــيعهم صلحي ، إلا من إبن عاق باع امه في حانة الخمور .. رهـــن حياتـــه فوق سن النرد .. تجول مع بلية الروليت .. دموعه أبت ان تنزلق ، تجمدت في مآقيها .. عاد ادراجه إلي راحلته الفخمة .. قبـــع خلـــف عجلة القيادة .

كل شئ في حياته يدور ..حياته انتهت تحت فوديه الابيضين ..

وجاء ينعي أمـــــه بعد أن تواري جسدها في التراب .

نهـــــــاية

كلما أراها خلف تلك النافذة ، أفكر فيها .. فيهرب طيفهـــا وأجـــري وراءه .. أترك ذلك الجسد مسجياً علي الارض حتي أنأي بهـــا عـــن عيون البشر .. اختلي بها .. أختلس من الوقـــت بعضـــه .. تظللنـــا السعادة ، وتأتي تلك المرأة العجوز في نفس الوقت والميعاد وكأنهـــا تحالفت مع أبليس بطمعاتها في شجرة التفاح ، فأسقط معهـــا علـــي الارض .. اعود ثانياً إلي ذلك الجسد المسجي الـــذي تتكالـــب عليـــه الذنوب .. أسمع انفاسي المتلاحقة التي تهرب في كل صوب وحـــدب كنهر تخلص من ضفتيه او كجثة مبعثرة الاشلاء .

أحبو إلي ذلك الثقب القابع في نهاية الحياة .. تصعد روحي درجـــات السلم الموسيقي الذي يعزف لحناً جنائزياً حتي تســـتقر فوقـــه ذلـــك الطبق الخشبي المحمول علي الأعناق وسط الموكب المقدس المتخم

باللون الأسود ..أختبئ أنا بين الرجال .. أسترق السمع .. أتلصص النظرات .. أراها الآن تمر أمامي وقد تمردت علي كل الطقوس .. إندست بين النساء كالشعرة البيضاء في رأس الظلام .. أعلنت عن رفضها للموت .. أعلنت عن رفضها للحقائق ..

أعلنت عن رفضها للفراق ..

من الالف إلي اليـــــاء .... حروف في ذمة النسيــــــان

أ

الليلة شتائية ممطرة .. أنقطع فيها التيار الكهربائي .. وهــو حــائر يحتضن بين يديه كوباً من الشاي الساخن .. دخل حجرته المزدحمــة بأشياء كثيرة لا قيمة لها .. وضع الكوب علي حافة مكتبه .. اشــعل الشمعة المتبقية داخل درجه المتصــابي ، أضــاءت الشــمعة بقــدر إستطاعتها وارتكن هو إلي المقعد البالي في زاوية الحجــرة ممسـكاً بكلتا يديه كوبه الساخن .. تقعر في جلسته .. المطر ينســاب فــوق النافذة الزجاجية مخلفاً ورائه خيوطاً مائية لم تنقطع .

الشمعة تهذي بدموع ساخنة .. تشتعل لتضـئ .. تحتــرق ولا أحــد يكترث .. لم تعرف قط أن الموت بداخلها ..أن الموت فــي جوفهــا خيطاً رفيعاً .. عمرها الذي انتصف بعد دقائق سينتهي الكوب أيضـاً بين يديه ... لم يعد ساخناً .

ب

بندول الساعة لا يتوقف .. صوته يلتحم مع نقر حبات المطـــر فـــوق النافذة الزجاجية .. التيار الكهربائي فقد طريق العـــودة .. الضـــوء الاحمر الخافت يسطع من لفافة التبغ الفقيرة إذا ما لثم مؤخرتهـــا .. يفكر في ملامح يوم قادم . احدهم اخبره هاتفياً منذ يومين بميعاد

المقابلة الشخصية في إحدي الشركات .. الإبتسامة تكتســـي وجهـــه كلما تذكر أن هندامه غدا لا يمتلك منه غير جورباً وحذاء .

ت

تباشير الصباح تحمل في طياتها هواءاً رطباً .. لزجاً .. يثير حنقه .. قميصه الابيض لم يعد كذلك .. الارض تحولت إلي برك ومستنقعات .. تساؤلات كثيرة تدور داخل رأسه الخرب .. ماذا لو لم يرتدي القميص الأبيض ؟ ماذا لو تأخر الميعاد يومين أو ثلاثة ؟ لم يجد وقتاً للإجابة فهو يستعد للمقابلة الآن .. نظف حذائه بمنديل ورقـــي مســـتعمل .. طرح عليه احدهم الأسئلة تباعاً ..

أجاب قدر إستطاعته لم يلتفت إلي كونه قلقاً سيقانه النحيفةلم تكف عن الحركة منذ جلس .. أراد الرجل أن يخفف من حد التوتر فقاطعه بغتة مثنياً علي رابطة العنق وذوقه الجيد ، فاكتست الإبتسامة وجهه .. فلا أحد يعرف أن هندامه الانيق لا يمتلك منه غير جورباً وحذاء .

ث

ثرثرة كثيرة علي هامش الشوط الأول .. عجباً لمجتمع المقاهي .. يعلمون كل شئ عن كل شئ .. حركة .. وجلبة .. المكان يهدأ رويداً .. الشوط الثاني من المباراة النهائية علي وشك البداية .. جميعهم تركوا همومهم خارج المقهي .. المتعجل منهم القي الهموم فوق جذوات النرجيلة المشتعلة .. انزوي إلي أحد المقاعد يظهر صديقه صاحب رابطة العنق .. منذ الصباح لم يذهب إلي منزله .. تأخر صديقه دقائق عديدة وها هو الآن في المقعد المجاور وقد أعجبه القميص الابيض فعرض أن يستعيره في حفل زفاف شقيقه الأكبر .. فاكتست الإبتسامة وجهه فلا أحد يعرف أن هندامه الأنيق لا يمتلك منه غير جورباً وحذاء .

ج

جذور .. سيقان و أوراق معظمها أصطبغت باللون الأصفر .. البقية تخشبت بالفعل ، الجذور تمد ألسنتها في الأرض بطريقة عنكبوتية متشعبة تحلب اشطرها .. ولكن .. نضب لعاب الأرض وتشققت شفاهها كجرح غائر لم يلتئم فانفرج فكها كفكي جمجمة في هيكل عظمي .. الجلاديولس ، الفل ، البنفسج والورد البلدي جميعها زهور لا تهوي الظهور .. الحديقة برمتها عقيمة مجدبة .. حالها هكذا منذ توفيت صاحبتها .. زوجها لم أره أيضاً منذ ذلك الحين .. لم يفترقا قط .. معاً دائماً .. موجع حقاً حداد الزهور .. كم أهديت منها حبيبتي قبلاً .. أري روح صاحبتها في كل موضع .. تلتفت حول ساق .. تقبع خلف كل برعم .. الارض ظمآنة عطشي .. آليت علي نفسي أن أرويها صباح كل يوم في طريقي للعمل .

الأرض والزهور تستعيد ذاكرة الحياة علي إستحياء .. لا شك ان زوجها سيسعد بذلك حينما يري الفل يعانق زهرات البنفسج .. ومرت الأيام طويلة رتيبة يخترقها أريج زهرات الحديقة .. وصلت عملي متأخراً .. طالعت صحف الصباح حيث لا عمل ..

بزغ من وسط الصحيفة صورة كبري تعلوها آية قرآنيـــة وأســفلها كلمات كثيرة .. نعم .. الصورة والنعي ..

لزوج صاحبة الحديقة .

ح

(حل المسابقة بعد قرن) وجدها اسفل جدول الكلمـــات المتقاطعـــة والتي إعتاد أن يمر عليها في الجريدة الصباحية .. حريـــة .. كلمـــة ظل يبحث عن معناها ولا مجيب ، طوي الجريدة وألقاها علي حافـــة مكتبه الساذج .. سأل كل أقرانه في العمل ولا مجيب .. لم يلبـــث أن فتح الجريدة ثانياً وثالثاً ورابعاً عله يهتدي إلي معني .. ولا معني .. إنقضي يومه في العمل ، فطوي الجريدة متأبطاً إياها حتي منزله .

غرفته المزدحمة بكل أنواع الكتب لم تهده لإجابـــة .. قلّـــب معجمـــه العتيق حتي بزغت الكلمة من بين السطور فوجد امامها موضع خـــال .. الحرية بلا معني .

خ

خلف السياج الحديدي الأنيق تقبع مجموعة العصافير الملونة في كل حديقة .. في كل بيت تحسب زقزقتها طرباً .. لكنها مظـاهرة تبحـث عن الحرية والحرية .. كلمة بلا معني .. شقيقته أيضـا ذات الشـعر الأسود الناعم عندما تطاير ضمته بحلقة مطاطية .. هو كـذلك عبّـر عن رأيه في بداية تسلمه العمل ، فاقتطعوا من راتبه جنيهات كثيـرة يحسب نفسه حراً والحرية .. كلمة بلا معني ..

تذكر نفسه يوماً تصدر مظاهرة بات ليلة خلف القضبان .. قـال .لا. يحسب نفسه حراً والحرية .. كلمة بلا معني .. بعد خروجه ظل أياماً

طويلة يرتعد وفي ليلة بلا قمر نظم رايه شعراً ، واستسلم لنوم عميق .. لم يلبث أن قفز مفزوعاً من وقع طرقات كثيرة ثقيلة علي بابه

غاص في مكتبه يبحث عن الشعر المشؤم _ رغـم وجـوده أعلـي المكتب _ مزق شعره ملقيا إياه إلي سلة المهملات .. ولم يكن أحـداً بالباب فقط كان يحلم ..

د

دارت بلية الروليت .. لا صوت يعلو فوق صوت احتكاكها بالمجري المخصص لها .. القاعة العتيقة بما فيها ومن فيها صامتة ساكنة .. الجميع ينتظر إحتراماً .. ثُري من المتوج اليوم ؟ آخر كل ليلة تتمخض القاعة عن ثلاثتهم .. الثري المتصابي ذو الشارب الابيض .. أدمن المقامرة .. يقامر بكل عزيز لديه .. ولا عزيز .. نادراً ما يكسب .. عهدته دائماً بابتسامة تملأ شدقيه ومتكأ عاجي ينقر به أرضية القاعة جيئة وذهاباً .. وذلك الفتي أيضاً يضع راتبه الشهري تحت حواف الخيل أو بين أرقام الروليت .. وفقير غبي يقامر بقوت يومه .. قادماً من هناك .. عبر الأفواه الجائعة .. سابحاً في عرقه .. باحثاً عن حلم يراود فكره الواهن .

كانت ليلة ليلاء .. وتجارة رابحة .. جميعهم غانم .. فهل من مزيد ؟ أحتدم الصراع في آخر الليل .. والكل يراهن علي الأرقام البالية .. و .و. دارت بلية الروليت وأخذت معها عقولهم .. تدور و تدور .. تتخبط في جنباتها سياجها اللامع .. تطيخ بأحلام العصافير .. الطيور الأكاسر تتخطف الارواح في كل دورة ..

لا .. لا تستقري .. دعي الأرواح معلقة بالحياة .. دعي الأرواح معلقة بالحياة .. دعي الارواح تحلم بالبقاء .

توقفت فجأة .. وتوقفت معها القلوب .. فوق رقم لم يراهن احداً عليه ..

ذ

ذكريات أليمة سكنت رأسه منذ عصر مضي .. ظل يفكر فيها .. يعتصر جرحاً لم يلتئم ران علي الغرفة صمت مهيب .. البندول فقط هو العاصي الوحيد .. حركاته الرتيبة المملة ترفض الإنصياع .. علا صوت الساعة عقاربها تشير إلي الثانية عشر ظهراً .. أعتدل في جلسته .. و بدل ملابسه ودلف خارج المنزل .. وجهته إلي لا شئ .. تذكر صديقاً حميماً ..كثيراً ما ألقي في جعبته الهموم .

المُعلم الصديق قابعاً في مدرسة البنات .. إستقبله كعادته بشوشاً ضاحكاً رغم عينيه الحزينتين .. أرتكنا إلي المقعد البالي عند أحد الجدران .. ضحكاتهم العالية يفيح منها نوح الحمائم .. وما اصعب أن تنوح .

بغتة وبلا مقدمات أنطلقت فلول اللون الأزرق نحو فوهة المبنـــي .. تبغي الفرار من يوم دراسي شاق .. اللون الأزرق ينساب مـــن كـــل حدب وصوب ، يحولقن المقعد بمن عليه .. الحلقة تـــزداد ســـمكاً .. أعجبته إحداهن .. صاحبة ثغر باسم وحديث ناعم انيـــق .. أنـــزوت بجانب المقعد .. يستوق النظر إلي عينها الخجلاوتين .. سألها شـــيئاً .. فأجابت وهي ترمقه بنظرة حانية ، شعر وكأنه ليس فـــي الكـــون سواهما .. إستعادت ضحكات صديقه إلي الحياة .. وبعد لحظات دلف خارج المبني ...

ولا يسكن راسه غير صديق حميم .. وفتاة إسمها زينب ...

ر

ريش الورقاء تناثر أسفل أشجار الزيتون مغطي باللون الأحمر القاني ، كانت تحاول تحذير ريم نائمة وهي تري الذئاب يلوحون في الافــق البعيد .. الذئاب تقترب .. تقترب أكثر ، الذئاب أقرب ما يكــون مــن حلمات ثدي إلي فم رضيع .. عواء الذئاب أيقظ الأيائل التي ارتعــدت فرائسها .. الورقاء تحاول تحذيرهم و هي .. مــن حــاول تحــذيرها عندما أنطلقت الرصاصة الغادرة لتمرق في جيدها الأبيض الهــش .. سقطت تحت أقدام شجرة الزيتون .. تتلــوي .. تقفــز وهيهــات .. تحاول عبثاً أن تطفئ النار التي اشتعلت بداخلها .. تحاول أن تنطــق الشهادة بصوت واهن متقطع ، والأيائل يرمقونهــا بنظــرة حزينــة يغلفها الخوف وهم يتابعون قفزاتها الأخيرة الورقاء تقفز ولا جــدوي من القفز ، والأيائل تتابع ولا حيلة لهم .

وأخيراً ريش الحمامة بجوار عظام ظبية وليدة تحت أشجار الزيتــون وفي مهب الريح .

ز

زارني طيفها أول الليل .. فتواري النوم خجلاً يجر أذياله إلـي غيـر رجعة . إستجمعت بقاياها من الماضي السحيق .. سألتها فيما مضي اسئلة كثيرة وأجابت إلا من سؤال واحد ، لم يمهلها القـدر لتجيـب عليه .. علقت الإجابة بجوار قميصها الأسود القصـير فـوق جـدار الزمن المتهالك .

توارت تحت التراب وتواري معها زمناً ميتافيزيقياً .. لماذا رفضـت كل علاقة بيننا غير الحب ؟ لماذا سكنت التراب ؟ قلمي يهجع يبحـث عن إجابة .. بين سطور أشباه القصص .. في عبق التاريخ الراحـل .. خلف أعقاب لفافات التبغ التي أطاحت بالتاريخ الآتي وأخـاف أن أسكن إلي جوارها قبل أن يجيبني أحد ..!

س

سماعة الهاتف تنقل صوتا نسائياً حزيناً عبر الأثير .. طلبت منـــه ألا يسألها عن شئ حتي اسمها .. قالت إنها تريد أن تتحدث إلي أحـــد لا يعرفها ، فأصاخ السمع .. أطل البكاء بـــأم رأســـه فـــي حـــديثها .. وتوالت أحاديثها الهاتفية وبكاء يعقبه بكاء .. وظـــل هكـــذا ينتظـــر حديثها ليلاً يستعطف الأثير أن ينقل إليه صوتها الحـــاني الرقيـــق .. حتي انقطع حديثها زمناً جاءه بعدها يسعي صوتاً أنثوياً حزيناً ينعـــي إليه وفاتها ..

فارقت الحياة ولا يعرف عنها غير صوت الهاتف ..

ش

مهداة إلي الأخ الصديق / محمود عبد الكريم

شاء القدر أن تقتحم حياته منذ حداثته .. تتغلغل في دمائه .. وقع في شراكها سريعاً صريعاً يروي ظمأه ما أن تنشب مخالبه فـــي جيـــدها اللين .. يرتشف القبلات تباعاً فتشتعل وتشتعل داخله أشياء .

و في ليلة كاحلة دمساء ليس للبدر فيها مكان ، إستدرجته الرقطــاء اللعوب يحتسي من شفتيها سماً .. يخلع عنها ردائها .. يلثم جيــدها الهش .. يفض بكارتها .. تمتلئ الغرفة بالــدخان .. تمــزق لعنتهــا الأحشاء .. ينخر السعال في عظامه البالية .

وبعد حين .. يبصق وجهها القبيح .. يمزق ما تبقي منها تحت حذائه .. قوارير الدواء الفارغة ، وبقايا الأقراص تحكي قصة لفافة تبغ مع صديق حميم ..

ص

صبر .. مذاقه الصبار .. وصدأ يأكل الحديد .. ويعلو الوجوه الكالحة .. و صياد قناص .. يحمل فوق زناده الموت أينما حـل .. وصـليل سيوف يمزق جيداً بعد جيد .. وصوت طبولاً تقرع تزف فقيـراً إلـى المقصلة .. وصرير اطارات .. تلتهم فيما بينها كل حياة .. وصنبور لم يتجرع قط الماء .. وصندوق جلاء الأحذية .. ليته يجلو القلـوب العفنة .. وصدر عار لامرأة تهدل نهديها من كثرة ما وطأه الرجال .. وصغار إلي جوارها .. تبتغي ثمناً بخـس تطعـم أفـواه الجيـاع .. وصانع خمر مرابي .. وصديق خائن .. وصريع عند قارعة الطريـق .. وصوف خشن وحرير .. و صحيفة تمتدح ملكاً .. وصورة معلقـة بالجدار في زاويتها شريطاً أسود .. و .. وصعاليك ..

ض

ضيعت في هواك سني عمري .. فلا ترحلين .. فقط أنظري إلى الشمس وهي تسبح في الأفق تعانق جبل المغيب .. تأفل لا عن طواعية .. بل حينما تشرقين .. ليتني ابتسامة كي أنبت في حنايا ثغرك الدافئ .. أنثري حول جسدي الورود والأزاهير .. أسكني قلبي يا زهرة الياسمين .. واسكبي علي وجنتي شذا عطرك الفواح .. أنت .. أنت .. إكسير الحياة .. فطوقيني بأجنحتك اللازوردية .. ودعي الشوق يضطرم .. وانثري رَمَادَيْنا فوق براعم الأزهار في ساحة الفجر الميتا فيزيقي ..

لتشرق ها هنا شمس يوم جديد ..

ط

طاب لي أن أذكرك محاسنك .. أردت ان أتغاضي عن كل شئ .. كل المساوئ .. كل العيوب أردت أن أمدحك ... ولكن كلما تعلق بذهني صورتك وأبدأ في الكتابة .. أجد أن مداد القلم يجف ....

ها قد جف ...

ظ

ظلمت نفسي حينما وقفت علي قدم واحدة ، مقلداً إياك يا طائر البولشوي وانت ترقص وتعزف .. تمتم بكلماته السابقة .. وهويتأمل الصورة المعلقة أمامه علي الجدار لطائر البولشوي الرشيق والذي يرفع قدماً ويقف علي الأخري .. روحها المعلقة بالقدم المرفوعة تنظر من علو .. هائمة في ردائها الشفاف الذي ينم عما خلفه فاضحاً حاجياتها الخاصة والجسد المرمري البض ..يتراقص نشوة وعذوبة .. روحه تفارق مضجعها داخل جسده المنكمش فوق الأريكة الوثيرة .. تتسلق القدم الأخري الثابتة وكأنها نبتت من الأرض .. روحه الزاحفة نحو العلو في محاولة يائسة لإقتراب منها ..

تصارع الإنزلاق .. تنشب مخالبها .. ولا مخالب . تهوي .. تتشبث .. تعاود الصعود ..تلهث .. و أنفاس تخرج لا تعود .. تقترب .. و ليس بالإمكان أن تقترب أكثر ، فتهوي من علـو .. تسكن الجسد المسجي فوق الأريكة .. تنظر بعينين زائغتين إلي الصورة المعلقة ... لطائر البولشوي ...!

٤

علبة الدخان لا تفارق غرفته الفقيرة .. وكومة الأوراق كما هي مبعثرة متناثرة علي سطح المكتب .. وهو فوق المقعد المتصابي قد تقعر وانكمش غائباً عن الوعي منهمكاً في التفكير .

ران الصمت في الغرفة زمناً وهو ما زال يفكر ..يفكر ملياً ..يبحث عن نهاية للرواية .. يمد في عمر البطل يوماً بعد يوم .. وبطله لعب كل الأدوار إلا واحداً .. يعاود التفكير .. ولا جديد ، الدور المتبقي مثير .. الدور المتبقي سكون .. الدور المتبقي دموع ..

.. فليمت البطل ولتنتهي الرواية ..

غ

مهداة إلي أختي العزيزة .. مني شوقي

غصن يافع يحمل فوق رأسه وردة حمراء .. رغم القحط والقفـــر إلا إنها تبتسم .. توزع البسمة علي الشفاه المتشققة .. علـــي الوجـــوه الصدأة المتآكلة .. الريح تداعبها يمنة ويساراً تتطاير منهـــا البـــذور واللقحات .. تتعلق بأرجل النحل .. تتساقط في صدوع الأرض وبـــين فكوكها .. تحاصرها مجموعة الأشجار الضخمة الواقفـــة المتلاصـــقة كالأشباح .. تمنع بينها وبين الشمس لقاء .. وجـــذورها العنكبوتيـــة تأبي أن تصل إليها الماء ..

ولا زالت واقفة تبتسم .. تحفظ في قلبها النابض أســـرار الحيـــاة .. والأشجار الشائخة .. خوت علي عروشها .. وأضحت اوراقها هشيماً تزروه الريـــــــاح ..!

ف

فوق أرصفة القطار .. تلاقت الوجوه .. بعد حرز من الزمان .. و هي .. كما هي .. خمرية ذات وجه طفولي ، وعينين بائستين يسدل عليهما الحزن ستائره .. ألف عام أو يزيد ولا زال صدرها دافئ من احتضان الكتب .. لسانه عاجز عن الكلام .. صوته تائه في أعماقه .. و .. والآن ظهر في الكادر .. فتي نحيف ، يحمل فوق كتفه طفلاً .. يقترب .. يقترب أكثر .. حملت عنه الطفل وعينيها معلقة بالطفل الآخر .. وفات بينهما القطار .. يقسم الرصيفين .. لم يرها للحظات .. ولم تره بعدها أبداً ..

فقد رحل وترك مكانه خاوياً ..

ق

قطع سكونه رنين الهاتف المتواصل .. أرهف مسامعه .. الأثير ينقل إليه صوت صديقه الحميم .. يزف إليه أنباءاً لا تسر .. وضح ذلك من جبينه المقطوب .. أغلق السماعة دونما مقدمات .. الكلمات تتردد داخل راسه .. إنتهت العلاقة بينهم .. هداياه لها في منزل صديقه وأشياءاً خاصة أيضاً ..

رفع سماعة الهاتف .. قاصداً إياها .. وبعد وقت وحين .. أتاه صوتها يسألها لماذا ؟ فأغلقت في وجهه السماعة دونما مقدمات ..!

ك

كتبت لها قائلاً .. حبيبتي ..

أعطني قلباً ضعيفاً حتي لا يقسو عليّ .. قلب حنون ، يصافحني إذا غبت .. يسامحني إذا أخطأت أعطني قلباً من حديد .. أدخله فتنغلق أبوابه .. يعتقلني بين جدرانه .. لا يسمح بأن يحتجز داخله غيري .. فقط أنا معتقل أسير .

أعطني قلباً مرن أجذبه في عنف فيرتخي .. أحل وثاقه فيجذبني .. لا فكاك ولا إجتذاب .. هكذا دائماً بيني وبينه خيط رفيع .

أعطني قلباً من نار يلتهب لوعة للفراق .. ويلتهب شوقاً للقاء .. يحرق كل من يحاول أن يقترب منه .

أعطني قلباً أميناً أضع فيه كل الثقة .. يصونني في كل مكان .. علي الملأ وفي الخفاء ، حبيبتي .. إذا كنت تعرفين معني الحب فكل هـذه القلوب .. قلب واحد ..

هو قـــــلب يحب ..

ل

لم تقرأ منه سوي الكلمات الأولــــي . ولم يبــرح بعــدها ســلة المهملات ..!

م

موت وحياة .. هي الدنيا علي هذه الشاكلة .. في الغابة موت وحيــاة .. في الأعماق موت وحياة .. بين البشر موت وحياة .. وفي داخلــي موت وحياة .. ويسير القطار ، تحت الإطارات وبين القضبان مــوت وحياة .. ولا أحد يعبأ أو يكترث ..

ولا أحد يدخر شيئاً عندما تموت الحياة ..!

ن

نحب ..أن نكره .. نحب .. أن نقتل بعضنا البعض .. نحب .. أن تموت ضمائرنا .. نحب .. أن تنفرط حياتنا .. نحب .. أن نبيع مبادئنا في حانات الخمور .. نحب أن نبيع شقيقاتنا وأمهاتنا وبناتنا فوق الأرصفة وفي أسواق النخاسة بين تجار الرقيق .. كانت هذه آخر كلمات البطل في رواية (فقيه في كأس المدامة) ثم أسدل الستار .. ووقف الجمهور يصفقون قرابة الساعة أو يزيد ..

حيث لا عمل لهم إلا التصفيق .. ينتظرون أن يفتح الستار لتحية الأبطال ..

ولكن .. خرج الأبطال جميعهم .. في رحلة البحث عن رجل .. ليس من هويته التصفيق ..!

هـ

هرم كل شئ فيه .. أبيضٌ شاربه وفوديه .. حتي متكأه الخشبي لـم يسلمه القدر وصب عليه جم غضبه .. شاخت العواطـف والمشـاعر بداخله .. شاخت نواظره والذاكرة . لم تترك له منها ومن عصـرها سوي بضع صور تلك التي بين يديه _ المرتعشـتين دون هـوادة _ يقلب فيهم مراراً وتكراراً .. وتتقلب داخله أشياءاً وأشـياء .. حتـي دخل حفيده يصول ويجول يطوي الأرض طياً .. دق جرس الهاتف .. قاوم الزمن حتي يعتدل من جلسته .. ووصل غلي الهاتف بعـد ردح من الزمان قوامه سني عمره الغابر .. الكلمات تتبعثر من فكه الخالي .. يمسح السماعة بمنديله الخشن بعد أن بللهـا الـرذاذ .. إنتهـت المحادثة ورجع آفلاً إلي مجلسه فلم يجد غير حفيده وقد ألقي بالصور إلي قلب المدفـــــــأة ..!

و

والدتها رفضت .. ورفض والدها بالتبعية ..

الحلقات الصفراء في معصميها أثقل منه وزناً وبقية الخراف في

القطيع لم يعبأ أحداً أو يكترث .. شقيقها الأكبر .. ينظر من علــو .. من فوق سيارته الفارهة .. قطع أواصر كل شئ ألقي بها فــي ســلة المهملات .. مزق أكياس الدم تحت الإطارات .. وهي .. رفضــت أو لم ترفض .. لم يعد ذلك يعني ..

فلا عتاب لأشباه الرجـــــــــال ..!

ي

يعشق الرسم والألوان منذ نعومة أظافره .. يرسم فــوق الحــائط .. يرسم فوق الباب ، يرسم علي حقيبة المدرسة .. يرسم ظــلاً تحــت الشمس .. يرسم ضوءاً عند الليل ، يعشق .. يرسم قلباً .. يحــزن .. يرسم دمعاً .. يرسم أشياءاً أخري .. جمع يهرول .. أشلاء تتناثر .. ونساء تنتحب ..

ويلون .. وجه .. أصفر شاحب ، شعر .. أشقر يتطــاير ، جــرح .. أحمر دامي ، عمر .. أخضر يابس ، ناب .. أزرق سام ، غصــن .. بني متخشب ..

وظلام .. أسود دامس ، و .. قلب .. أبيض يموت ..!

الفهرس